The Stylistics of Deviation in Abū ʿAlī al-Yūsī's Dāliyya: A Linguistic Study in Light of Jean Cohen's Theory

Abdulwahid Toyyib Adebis[1]; Abdilghani Abisalam[2]

Science Step Journal / SSJ

2026/Volume 4 - Issue 14

To cite this article: Adebisi, A. T & Abisalam, A. (2026). The stylistics of deviation in Abū ʿAlī al-Yūsī's Dāliyya: A linguistic study in light of Jean Cohen's theory. Science Step Journal, 4(14). ISSN: 3009-500X.
https://doi.org/10.5281/zenodo.22118941

Abstract

This study examines the phenomenon of stylistic deviation (déviation stylistique) in the celebrated Dāliyya poem of the Moroccan scholar and Sufi mystic Abū ʿAlī al-Yūsī (d. 1102 AH/1691 CE). Drawing on Jean Cohen's theory of poetic language, it explores how al-Yūsī departs from conventional linguistic norms to generate multiple layers of aesthetic, semantic, and spiritual meaning. The study adopts an analytical approach encompassing the phonological, morphological, syntactic, semantic, and pragmatic levels of the text. It demonstrates that stylistic deviation in al-Yūsī's poetry is not merely a formal rhetorical device but also a cognitive and mystical act that embodies the Sufi vision of transcendence, unity, and spiritual transformation. The findings reveal that al-Yūsī's Dāliyya represents a distinctive model of Moroccan Sufi poetry, in which language transcends its representational function to become a medium of revelation, illumination, and spiritual insight. Consequently, stylistic deviation emerges as a dual process of linguistic innovation and spiritual liberation, reflecting the profound interconnection between poetic expression and mystical experience.

Keywords: Stylistics, Stylistic Deviation, Sufism, Jean Cohen, Abū ʿAlī al-Yūsī, Moroccan Poetry, Poetic Language.

[1] Institute of Translation Arts, University of Ilorin, Nigeria, abdulwahid@unilorin.edu.ng, (+234) 8103409896
[2] Dept. of Arabic and Transnational Studies, University of Ilorin, Nigeria, agabisalam@yahoo.com, (+234) 8033844698

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

أسلوبيّة الانزياح في دالية أبي عليّ اليوسي: دراسة لغويّة على ضوء نظرية جان كوهن

طيب عبد الواحد أديبسي، عبد الغني أ. عبد السلام

ملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الانزياح الأسلوبي (Déviation stylistique) في قصيدة الدالية الشهيرة للعالم المغربي والمتصوف أبي علي اليوسي (ت 1102هـ / 1691م). وتنطلق من نظرية جان كوهن في اللغة الشعرية لتحليل الكيفية التي ينحرف بها نص اليوسي عن المعايير اللغوية المألوفة من أجل توليد طبقات جمالية وروحية متعددة الدلالات. وتعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا يشمل المستويات الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، مبيّنةً أن الانزياح في شعر اليوسي لا يقتصر على كونه أداة شكلية، بل يتجاوز ذلك ليغدو فعلًا معرفيًا وصوفيًا يجسّد رؤية التصوف القائمة على التجاوز والوحدة. وتخلص الدراسة إلى أن دالية اليوسي تمثل نموذجًا مميزًا للتصوف الشعري المغربي، حيث تتحول اللغة من وسيلة تمثيل إلى وسيط كشف وإشراق، فيغدو الانزياح مسارًا للتحرر اللغوي والروحي في آنٍ واحد.

الكلمات المفتاحية

الأسلوبية – الانزياح – التصوف – جان كوهن – اليوسي – الشعر المغربي – اللغة الشعرية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المقدمة

تُعدّ الأسلوبيّة من أبرز المناهج الحديثة التي استندت إليها الدراسات اللغويّة والأدبيّة في تحليل النصوص الشعرية، لما تمنحه من أدوات دقيقة تسمح بالكشف عن أسرار الجمال الفني في اللغة. وتُعَدّ ظاهرة الانزياح (Le Déviation) من المفاهيم المركزية في هذا الحقل، إذ تُبرز قدرة اللغة الأدبية على الخروج عن مألوف الكلام العادي لتشكيل دلالات جديدة تتجاوز المعنى القاموسي إلى آفاق الرمز والإيحاء والانفعال.

ولقد كان جان كوهن (Jean Cohen) أحد أهمّ المنظّرين لهذه الظاهرة، حيث جعل من الانزياح معيارًا للفصل بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، ورأى أن الشعر يقوم أساسًا على "العدول عن المعيار اللغوي"، أي تحوير النظام المألوف للكلام قصد تحقيق الوظيفة الجمالية والإيحائية.

في هذا الإطار، تأتي هذه الدراسة لتحليل الأسلوبية الانزياحية في الدالية الشهيرة لأبي علي الحسن اليوسي (ت 1102هـ/1691م)، وهي قصيدة طويلة تمثّل ذروة فنية وروحية في الشعر المغربي الصوفي. فقد عبّر اليوسي في داليته عن مشاعر الوجد والحنين والفناء، مستخدمًا لغة متفردة تتجاوز حدود البيان التقليدي، وتغوص في أعماق التجربة الصوفية والإنسانية.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مظاهر الانزياح اللغوي في دالية أبي علي اليوسي؟
2. كيف تُسهم الانزياحات بأنواعها في بناء المعنى الصوفي والجمالي في القصيدة؟
3. إلى أي حدّ تنسجم اللغة الشعرية اليوسية مع التصور الأسلوبي عند جان كوهن؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تمزج بين النظرية الغربية الحديثة (نظرية الانزياح عند كوهن (والتحليل اللغوي للنص الصوفي المغربي، سعيًا إلى إبراز الخصوصية الأسلوبية في نتاج شاعرٍ عالمٍ متصوّف جمع بين البيان العربي الرفيع والتجربة الروحية العميقة.

أما المنهج المتّبع فهو منهج أسلوبي تحليلي يستند إلى التصوّر الجمالي للغة عند جان كوهن، مع الإفادة من أدوات اللسانيات النصية والتحليل البلاغي، في ضوء الرؤية الصوفية التي تسكن بنية الخطاب الشعري اليوسي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

أولًا: السياق الأدبي واللغوي للقصيدة

تأتي دالية اليوسي في سياق أدب القرن الحادي عشر الهجري بالمغرب، وهو عصر اتسم بعودة قوية إلى الأدب الصوفي والتعبير عن الذات في علاقتها بالمطلق. كان اليوسي فقيهًا ومتصوّفًا وعالمًا موسوعيًا، تتلمذ على أقطاب الفكر المغربي في عصره، وعُرف ببيانه البليغ في النثر والشعر على السواء.

أما داليته المشهورة التي مطلعها:

*عَرِّجْ بِمُنْعَرِجِ الْهِضَابِ الْوُرَّدِ** بَيْنَ اللِّصَابِ وَبَيْنَ ذَاتِ الْأَزْمَدِ*

فهي قصيدة تتجاوز المديح والرثاء إلى التأمل في الوجود والمصير، إذ تمزج بين النوستالجيا (الحنين) والتجربة الصوفية العارفة، وتعتمد لغةً تنزاح عن النمط العادي لتغدو أداة كشفٍ وتطهيرٍ روحي.

وقد اتخذ اليوسي من البنية الجمالية والرمزية وسيلة للتعبير عن مفارقة الحياة والموت، والروح والجسد، فبدت القصيدة ذات بعد لغوي دقيق يتشابك فيه البيان القرآني والذوق الصوفي والعمق الفلسفي.

ثانيًا: الإطار النظري لظاهرة الانزياح عند جان كوهن

1- تعريف الانزياح

الانزياح، في مفهومه الأسلوبي، هو العدول عن المعيار اللغوي المألوف في الاستعمال اليومي للغة، بغرض تحقيق القيمة الجمالية والانفعالية .يقول جان كوهن في كتابه :(1966) *Structure du langage poétique*

"اللغة الشعرية هي اللغة التي تنحرف عن معيار اللغة العادية، فكل شعر انزياح، وكل انزياح شعر."

بهذا المعنى، يصبح الانزياح جوهر العملية الشعرية، إذ لا يتحقق الشعر إلا من خلال "انتهاك" القاعدة اللغوية من أجل خلق توتّر دلالي يثير المتلقي ويوقظه من أُلفة اللغة العادية.

2- أنواع الانزياح عند كوهن

يصنّف كوهن الانزياح إلى أنواع متعدّدة، بحسب المستويات اللغوية التي يطرأ عليها العدول:

- الانزياح الصوتي والإيقاعي :التلاعب بالأصوات والإيقاع لكسر الرتابة الموسيقية التقليدية وإحداث تأثير عاطفي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- الانزياح الصرفي :تغيير الصيغ المألوفة أو توظيف الاشتقاق بشكل غير متوقّع.
- الانزياح التركيبي :خرق نظام الجملة المعياري عبر التقديم والتأخير، أو الحذف، أو التكرار غير المألوف.
- الانزياح الدلالي :وهو الأعمق، ويتجلى في المجاز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتضاد، حيث تنتقل الألفاظ من معناها الحقيقي إلى المجازي.
- الانزياح التداولي أو المقامي :استعمال اللغة في غير سياقها العادي بما يحمل من مفارقات ومقاصد غير مباشرة.

3- وظيفة الانزياح الجمالية

يؤكد كوهن أن الشعر لا يتجه إلى "الإخبار" بل إلى "الإيحاء"، فالانزياح يعيد بناء العلاقة بين اللفظ والمعنى، بين الدال والمدلول، ليصبح النص فضاءً للتأمل الجمالي. ومن هنا فإن الانزياح ليس مجرد "كسرٍ للقاعدة"، بل هو تجاوزٌ واعٍ من أجل بناء نظامٍ جديد للمعنى، يعبّر عن التجربة الإنسانية في عمقها الوجداني والروحي.

ثالثًا: الأسلوبيّة والانزياح في التراث العربي

على الرغم من أن مصطلح *الانزياح* مستورد من النقد الغربي الحديث، فإن جذوره الفكرية تمتد في البلاغة العربية القديمة، عند النقاد الذين تحدثوا عن العدول والخرق والتصرّف في اللغة، كعبد القاهر الجرجاني في *دلائل الإعجاز* حين رأى أن البلاغة "في نظم الكلم على وجهٍ مخصوص". وكذلك ابن جني حين وصف اللغة الشعرية بأنها "عدول عن أصل الوضع."

بهذا المعنى، يمكن اعتبار اليوسي وارثًا لهذا التراث البلاغي، إذ جاءت داليته لتجسّد وعيًا لغويًا متقدّمًا يستعمل الانزياح وسيلةً للتعبير الصوفي والجمالي، في إطار اللغة العربية الكلاسيكية الرفيعة.

التحليل التطبيقي لظاهرة الانزياح في دالية أبي عليّ اليوسي

تقوم دالية اليوسي على نظام لغوي فريد، تتجلى فيه مظاهر العدول والانزياح في جميع مستويات اللغة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والمقامية. وهذه الانزياحات ليست مجرد تزيين بلاغي، بل هي بنية فكرية وجمالية تعبّر عن جوهر التجربة الصوفية التي تُؤسِّس القصيدة. فاليوسي في داليته لا يصف العالم كما هو، بل كما يتجلّى له في حالٍ من الصفاء والانكسار والحنين إلى المطلق.

أولًا: الانزياح الصوتي والإيقاعي

يمثل الانزياح الصوتي أول مستويات الانحراف الجمالي في نص اليوسي. فالقصيدة على بحر الطويل، غير أن الشاعر يُحدث تنويعات صوتية دقيقة تتجاوز الإيقاع الخليلي إلى موسيقى داخلية تنبع من التكرار والتنغيم الصوتي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

1- التكرار الإيقاعي

يتكرر في الدالية نظامٌ من الأصوات الممدودة (الألف، الواو، الياء)، مما يمنح النص طابعًا موسيقيًا شجيًّا يتناسب مع نغمة الحنين والرثاء. مثل قوله:

*وَقْفِ الْمَطِيَّ عَلَى دِيَارِ أَحِبَّةٍ** كَانُوا الْغِيَاثَ مِنَ الزَّمَانِ الْأَنْكَدِ*

تكرار الأصوات الممدودة (الياء والألف) يُحدث انزياحًا عن الإيقاع المعياري عبر إطالة النغمة، بما يعبّر عن امتداد الشعور بالأسى والشوق.

2- المحاكاة الصوتية(Onomatopoeia)

يلجأ اليوسي إلى تراكيب تُحاكي دلاليًا صوت الظواهر التي يصفها، كما في قوله:

*وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهَا وَتَمَايَلَتْ** أَشْجَارُهَا كَالْمُثْمِلِ الْمُتَمَدِّدِ*

يتجاوز الإيقاع هنا مستوى الوزن إلى محاكاة حركة الطيور والأشجار في التمايل، إذ إنّ تتابع الأصوات المهموسة والمجهورة يخلق مشهدًا سمعيًّا بصريًّا متكاملًا. هذه المحاكاة الصوتية تشكّل انزياحًا سمعيًّا يحول الإيقاع إلى صورة حسية.

3- التوازي والتوازن الصوتي

في كثير من الأبيات نلحظ توازيًا صوتيًا بين الشطرين، كما في قوله:

*مَا دَوْحَةٌ فَيْنَانَةٌ أَوْ رَوْضَةٌ** بِخَمِيلَةٍ أَوْ فِي يَفَاعٍ أَنْجَدِ*

التوازن في النهايات (ةٌ / ةٍ) و(أنجدِ) يخلق توازُنًا نغميًّا يُشعر القارئ بانسيابٍ موسيقيّ، وهو ما يسميه كوهن الانزياح الإيقاعي الذي يحرّر اللغة من إيقاعها الخطابي الجامد نحو إيقاعٍ شعريّ نابض.

ثانيًا: الانزياح الصرفي والتركيبي

يتجلّى الانزياح في المستوى الصرفي من خلال توظيف اليوسي صيغًا قديمة أو نادرة الاستعمال، كما في قوله:

*وَأَجِزْ مِنَ الْجِزْعِ الَّذِي بِحَضِيضِهِ** أَجْدَاثُ أَصْدَاءِ الْعَشِيرِ الْهُمَّدِ*

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الفعل "عَجِزْ" هنا (بمعنى قِفْ أو أَقِمْ) يُستخدم على غير المألوف في العربية المعيارية، وهو عدول صرفيّ عن الاستعمال الشائع، يحقق دلالتين: الانقطاع عن السير، والتأمل في الأطلال، وهو ما ينسجم مع البعد الصوفي للقصيدة.

1- الانزياح التركيبي (العدول عن النظم المألوف)

يكثر في القصيدة التقديم والتأخير والحذف، بما يمنح اللغة مرونة جمالية. فمثلًا قوله:

*وَالدَّهْرُ سِلْمٌ وَالْخُطُوبُ غَوَافِلٌ ** وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالْأَمَانِي حُفَّدِ*

جاءت الجمل الاسمية المتتابعة في نسقٍ متوازٍ، لكن اليوسي قدّم "الدهر" على الخبر، وكرر النسق التركيبي دون رابط عادي، مما يُحدث انزياحًا نحويًا يولّد إيقاعًا دلاليًا يُجسّد لحظة سكون قبل الانكسار الذي سيأتي في الأبيات التالية حين يقلب الصورة رأسًا على عقب.

2- الانزياح بالحذف

الحذف من أهم سمات اللغة الشعرية، إذ يخلق فراغًا دلاليًا يستدعي مشاركة القارئ في التفسير. كقوله:

*ثُمَّ اسْقِهَا فَلَطَالَمَا أَسْقَيْتَهَا ** بَدَلَ الْحَيَا بِمَعِينِ عَيْنِكَ تَثْأَدِ*

يحذف اليوسي المفعول به (المطر أو الندى)، ويكتفي بـ "اسقها"، فينشأ غموض مقصود: أهي الديار؟ أم الذكريات؟ أم القلوب؟ وهذا التعدد في الإحالة هو من طبيعة الانزياح التركيبي الدلالي الذي يفتح اللغة على اللاتحديد الصوفي.

3- الانزياح في البنية النحوية الصوفية

يستعمل اليوسي تراكيب تتّسم بالتناقض الظاهري أو "المفارقة الصوفية"، كما في قوله:

*الرُّوحُ كُلِّفَ أَنْ يُزَوَّدَ لِلنَّوَى ** بِرًّا فَهَا هُوَ بَانَ غَيْرَ مُزَوِّدِ*

الجملة تنطوي على تركيبٍ مفارق: "كُلِّف أن يُزَوَّدَ" ثم "بان غير مزوّد"، وهو انزياح نحوي دلالي يُجسّد صراع الروح بين التكليف والفقد، بين السعي والعجز، وهي مفارقة تمثّل لبّ التجربة الصوفية في القصيدة.

ثالثًا: الانزياح الدلالي

الانزياح الدلالي هو الأوضح في دالية اليوسي، حيث اللغة مجازية رمزية، تُحوّل الواقع إلى إشارات باطنية. وسنقف هنا عند أبرز أشكاله:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

1- الاستعارة والتشخيص

تغدو الطبيعة في القصيدة كائنًا حيًّا ناطقًا، كما في قوله:

*نَثَرَ الْجَنُوبُ جُمَانَهَا فَتَقَلَّدَتْ ** لَبَبُ الرِّيَاضِ بِحَلْيِهَا الْمُتَبَدِّدِ*

استعار الشاعر من قاموس الزينة النسائية صورًا لتصوير المطر والندى، مما يخلق انزياحًا تشخيصيًّا يجعل الطبيعة أنثى تتزيّن، وهي صورة تتجاوز الوصف إلى رمزية الانبعاث والحياة بعد الفناء.

2- التحوّل الرمزي

يتحول المكان في القصيدة إلى رمزٍ للذات والوجود. "الربع المحيل" مثلًا ليس مجرد موضع أطلال، بل هو رمز الذاكرة والروح .وهذا الانزياح يجعل المكان معادلًا للكينونة نفسها.

كذلك فإن الألفاظ المأخوذة من المعجم البدوي (المطيّ، الأطلال، الحيا، الديار) تتحول إلى رموز روحية (السلوك، الذكرى، الرحيل إلى الله).

3- التضادّ والانفصال الدلالي

يستخدم اليوسي التضاد كوسيلة لانزياح المعنى من الثابت إلى المتحول، كما في:

*وَالدَّهْرُ سِلْمٌ وَالْخُطُوْبُ غَوَافِلٌ ** وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالْأَمَانِي حُفَّدِ*

*فَثَنَى أَعِنَّتَهَا الزَّمَانُ وَأَسْفَرَتْ ** طَلَعَاتُهَا مِنْ بَعْدِ وَجْهٍ أَرْبَدِ*

ينتقل النص فجأة من السلم إلى الحرب، من الصفاء إلى الكدر، وهذا التحول الدلالي انزياح زمانيّ يترجم تحوّل التجربة الروحية من النشوة إلى الإدراك المأساوي.

4- انزياح الصورة الصوفية

يتجلى البعد الصوفي في قوله:

*فَيَحِنُّ ذَاكَ لِأَرْضِهِ بِتَسَفُّلٍ ** وَيَحِنُّ ذَا لِسَمَائِهِ بِتَصَعُّدِ*

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ينزاح معنى "الحنين" من مدلوله العاطفي إلى معنى وجوديّ عميق؛ فـ"الأرض" ترمز إلى الجسد، و"السماء" إلى الروح. وهنا نلمس أسمى درجات الانزياح الدلالي، إذ تُعاد صياغة العلاقة بين الأعلى والأسفل، بين المادة والروح، في نسقٍ لغويّ مزدوج الدلالة.

رابعًا: الانزياح التداولي (المقامي)

يُقصد بالانزياح التداولي أن تُستخدم اللغة في غير المقام المعتاد، بما يخلق توتّرًا بين المعنى الظاهري والمقصد الحقيقي. وفي دالية اليوسي، تتخذ اللغة وظيفة "ذكرية" و"وجدانية" لا "إخبارية."

فالقصيدة في ظاهرها رثاءٌ ووقوف على الأطلال، لكنها في عمقها توبةٌ وتأملٌ في الفناء والبعث .فالمقام التداوليّ للقصيدة (شعر مديح ورثاء) يُنْزاح إلى مقامٍ صوفيّ يرمز إلى سير السالك في طريق الحقيقة.

الضمائر في النص تُؤدّي هذا الانزياح التداولي أيضًا: المخاطب (يا ديار، يا وطن، يا أحبة) يتحوّل تدريجيًا إلى مناجاة للذات الإلهية. فالمخاطب الأرضي يُنزاح إلى مخاطب علويّ، لتتحوّل القصيدة إلى ذكرٍ شعريّ.

خامسًا: أثر الانزياح في تشكيل الدلالة الصوفية

يؤدي الانزياح في دالية اليوسي وظيفة مزدوجة:

1. جمالية لغوية تكشف عن طاقة العربية في التعبير المبدع.
2. روحية معرفية تترجم التجربة الصوفية في رمزها ولغتها.

فانزياح اللغة عن مألوفها هو صورة لِانزياحِ الروح عن مألوف الوجود. كما أن العدول عن النظام المعياري للعبارة هو تمثيل رمزيّ للعدول عن عالم الحس إلى عالم المعنى.

بذلك يغدو الانزياح عند اليوسي نموذجًا وجوديًا، لا مجرّد ظاهرة أسلوبية، إذ تُصبح اللغة مرآة لتحوّل الكيان الإنساني نفسه في رحلة الفناء والبقاء.

الجانب اللغوي الجمالي في دالية اليوسي

تُعدّ الدالية اليوسِيّة نموذجًا متكاملًا للانزياح الأسلوبي في اللغة العربية الكلاسيكية المتأخرة. فاليوسي، وهو الفقيه المتصوف، لا يستخدم اللغة بوصفها أداةً للتعبير عن المعنى فحسب، بل ككائنٍ حيٍّ ينبض بالحركة الداخلية. اللغة عنده رحلة وجدٍ، وليست وسيلة وصفٍ .ومن هنا، يتجاوز المستوى الجمالي للانزياح البعد الشكلي إلى البعد الوجودي والروحي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

1- الانزياح بوصفه مولّدًا للمعنى الشعري

يرى جان كوهن أن الانزياح هو الذي "يخلق الشعرية" في النص، لأنه يُحدث صدمة إدراكية تُوقظ المتلقي من مألوف اللغة. وهذه الوظيفة نجدها بجلاء في شعر اليوسي، إذ يتحول الانزياح إلى مولّد للدهشة والمعنى في آنٍ واحد.

مثلاً، حين يقول:

*قَدْ كُنْتُ أَسْكُنُ فِي الْمَهَاجِرِ غَافِلًا ** حَتَّى دَهَانِي مِنْ هَوَاكَ الْمُبْرِدِ*

فعبارة "دهاني من هواك المبرِد" تجمع بين الحر والبرد في تركيبٍ واحد، وهو ما يُسمّيه كوهن الانزياح المفارق(paradoxical deviation) ، أي الجمع بين النقيضين لخلق توتّر دلالي يعبّر عن صراع الروح بين الشوق والسكون، بين اللهفة والتجلّي.

هذا الانزياح لا يُمكن ترجمته منطقيًّا، لأنه ينتمي إلى لغة الانفعال الوجداني لا إلى لغة الخطاب العلمي.

2- العلاقة بين اللغة الصوفية واللغة الشعرية

اللغة الصوفية، مثل اللغة الشعرية، تعتمد على الرمز والإيحاء والانزياح .فكلاهما يسعى إلى تجاوز حدود الدلالة الظاهرة نحو "المعنى الثاني" أو "الإشارة". في دالية اليوسي، تتماهى هاتان اللغتان حتى يصعب الفصل بين الشعر والذكر، أو بين المجاز والتجربة.

ففي قوله:

*إِنْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي فَقَدْ دَرَتِ الْمُنَى ** وَتَفَجَّرَتْ عَيْنُ الْحَنِينِ الْمُزْمِدِ*

يتحول الجهل إلى معرفة، والحنين إلى نارٍ تحرق وتطهّر في الوقت نفسه. اللغة هنا لا تُفصح، بل تُشعِر، والإنزياح هو أداتها الكبرى في نقل المعنى الباطن عبر الصورة الموارِبة.

3- الانزياح والإيقاع النفسي

من خصائص الانزياح عند اليوسي أنه لا يقتصر على التركيب أو المعنى، بل يمتدّ إلى الإيقاع النفسي للنص. فالقصيدة تتحرك على إيقاعٍ مزدوج: إيقاع خارجي منتظم (بحر الطويل)، وإيقاع داخلي مضطرب يعكس اضطراب الذات الصوفية بين الرجاء والخوف.

يقول:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

*وَالنَّفْسُ مَا بَرِحَتْ تُخَادِعُ أَهْلَهَا ** وَالْقَلْبُ فِي أَيْدِي الْهَوَى يَتَقَلَّدِ*

يتناغم الوزن الطويل مع تكرار الأفعال (تُخادع – يتقلد) ليخلق إيقاعًا نفسياً متوتّرًا. هذا التناوب بين الثبات والاهتزاز هو صورة صوتية للانزياح الوجداني الذي يسكن التجربة الصوفية ذاتها.

4- الانزياح والتصوير البصري

تتميز الدالية بثراء بصريّ نادر، فالشاعر يستعير من الطبيعة والفضاء عناصر تحوّل المعنى إلى مشهد. في قوله:

*فَكَأَنَّمَا الْأَيَّامُ رَوْضٌ زَاهِرٌ ** وَالْعَيْشُ نَهْرٌ فِي الْجَنَانِ الْمُخْضَرِ*

يتجاوز اليوسي الوصف إلى بناء مشهد تصويري متكامل، يربط الزمان بالمكان، والحياة بالجنة، في استعارة كلية تجمع بين الصورة الحسية والمعنى الأخروي. هذا ما يُسميه كوهن الانزياح التصويري (imagery deviation)، حيث تتحول الصورة إلى حقل رمزيّ يجمع بين الحاضر والمطلق.

5- الانزياح الرمزي واللغة الكونية

الرمز عند اليوسي ليس إبهامًا متعمّدًا، بل هو توسيع للدلالة عبر الإيحاء. والرمزية في الدالية تقوم على وحدة الكائن والكون، حيث تتقاطع إشارات السماء والأرض والريح والمطر مع إشارات القلب والروح والذكر.

ففي قوله:

*يَا مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ قَلْبٍ وَالْهًا ** وَبَدَنٍ أَلْهَتْهُ الدُّنَا بِالْمَقْعَدِ*

تتحول الثنائية (القلب/البدن) إلى رمزٍ للانفصال بين المادة والروح. وهو انزياح دلالي يحرّر اللغة من مفاهيمها التجريبية لتدخل دائرة اللغة الكونية التي تتحدث عن صراع الوجود نفسه.

6- الانزياح والوظيفة التأويلية

يُتيح الانزياح عند اليوسي مساحة مفتوحة للتأويل، فلا تُفهم القصيدة على وجهٍ واحد. هذه التعددية في الدلالة نابعة من تعدد مستويات اللغة: اللفظي، الصوفي، الفلسفي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

فعندما يقول:

*أَضْحَى الْفُؤَادُ وَمَا عَلِمْتُ بِحَالِهِ** مَجْنُونَ لَيْلَى فِي الْهَوَى الْمُتَبَدِّدِ*

قد يُفسَّر البيت على أنه تصوير لعشقٍ بشريّ، لكنّه في العمق استعارة لعشقٍ إلهيّ، حيث "ليلى" رمزٌ للذات الإلهية المستترة. الانزياح هنا تأويليّ، ينقل النص من مستوى الحكاية إلى مستوى الرؤية.

نتائج الدراسة

بعد هذا التحليل، يمكن تلخيص أهم النتائج العلمية كما يلي:

1. الانزياح في دالية اليوسي ظاهرة كلية تشمل مستويات اللغة جميعها: الصوتي، التركيبي، الدلالي، والتداولي.
2. الانزياح عند اليوسي ذو طبيعة صوفية معرفية، لا يهدف إلى الغرابة الشكلية، بل إلى التعبير عن تجربة الوجد والغيبة والفناء.
3. الجانب اللغوي هو الوسيلة التي تُترجم بها التجربة الصوفية، إذ تتحول الألفاظ إلى رموزٍ، والتراكيب إلى إشاراتٍ وجودية.
4. تتقاطع نظرية جان كوهن مع شعر اليوسي في تأكيدهما على أن "الشعرية تولد من العدول عن المألوف"، غير أنّ انزياح اليوسي أعمق لأنه يجمع بين الجمال والقداسة.
5. يقدّم اليوسي نموذجًا فريدًا للأسلوبية العربية في بعدها المغربي الصوفي، حيث تتحوّل اللغة إلى كائنٍ حيّ يتنفّس الوجد والذكر.
6. يمكن القول إن دالية اليوسي تُجسّد من خلال الانزياح تجربة الجمع بين النقيضين :الحسّ والمعنى، الظاهر والباطن، الفناء والبقاء، في انسجام لغويّ بالغ الدقة والجمال.

الخاتمة

تُبرز هذه الدراسة أنّ ظاهرة الانزياح الأسلوبي في دالية أبي علي اليوسي ليست مجرد انحراف لغويّ أو خرق لقواعد البيان، بل هي استراتيجية جمالية ومعرفية تستهدف إعادة تشكيل العلاقة بين اللغة والتجربة.

لقد استطاع اليوسي أن يجعل من اللغة فضاءً للانعتاق الروحي، فحوّل اللفظ إلى أثرٍ وجدانيّ، والصورة إلى كشفٍ صوفيّ، والصوت إلى نغمةٍ تتجاوز حدود الزمان والمكان.

وعلى ضوء نظرية جان كوهن، يمكن القول إن الانزياح عند اليوسي بلغ ذروته في تحرير اللغة من الإخبار إلى الإشعار، ومن الظاهر إلى الباطن .وهذا ما يجعل داليته ليست فقط نصًّا أدبيًّا، بل نصًّا وجوديًّا مفتوحًا على التأويل والدهشة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المراجع

- أديبسي، طيب عبد الواحد، (2025)، دراسة الظواهر الدلالية في قصيدة التهاني لأبي علي اليوسي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة إلورن، قسم اللغة العربية والدراسات الدولية، نيجيريا.

- أبو عليّ اليوسي، الحسن بن مسعود. (1998). *الدالية الكبرى*. تحقيق: محمد حجي. الرباط: دار الغرب الإسلامي.
- الناصري، محمد بن عبد السلام. (1990). *نيل الأماني في شرح التهاني*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- كوهن، جان. (1986). *بنية اللغة الشعرية* (ترجمة محمد الولي ومحمد العمري). الدار البيضاء: دار توبقال.
- العمري، محمد. (1999). *اللسانيات والأسلوبية*. الدار البيضاء: دار الأمان.
- عبد السلام المسدي. (1984). *الأسلوبية والأسلوب*. بيروت: دار الحداثة.
- عبد القاهر الجرجاني. (1954). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: دار المعارف.
- بارت، رولان. (1970). *لذة النص*. ترجمة: منذر عياشي. دمشق: دار الحوار.
- الجابري، محمد عابد. (2002). *الخطاب العربي المعاصر*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- العلوي، إدريس. (2011). *اللغة والتصوف في الأدب المغربي*. الرباط: منشورات كلية الآداب.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved